

الخصائص الناظمة للنصوص ذات التعبير الذاتي، من شأنها أن تسعفه بعض المقومات النظرية لقراءتها على الوجه الذي يتلاءم مع منظوقها الصريح أو المضمّر، بعيدا عن الإرغامات المنهجية الصارمة، التي كثيرا ما حولت النصوص، من خلال أقيستها النظرية، إلى بؤر تجريبية لاختبار درجة الوثوق المنهجي، وهي مسألة أبعد ما تكون عن الإنصات إلى النصوص بطبيعتها الحال .

ومع هذا وذاك، فسندقدم هنا بعض النتائج الأولية التي انتهت إليها البحث، معتبرين إياها منطلقات جديدة لدراسات نقدية أخرى، يمكن أن تثري الموضوع لاحقا. وسندقدم هذه النتائج انطلاقا من فرضية، ورد التعبير عنها مفصلة في ثنايا البحث، مفادها: أن الكتابة السيرة الذاتية، باعتبار جميع الدوافع التي تحمل على ذلك، تسعى إلى بناء هوية نصية موازية (معادل لغوي وذهنى..) لتجربة الحياة الفردية في الوجود، ولا تنتج، من خلال لغة الكتابة، إلا ما يضفي عليها أشد معاني الإعتبار رفعة. ومن طبيعة هذه العملية المركبة (السعي والإنتاج) أن يكون المؤلف، من خلال ضمير الأنا المتكلم الذي يجعل منه ساردا وشخصية في نفس الوقت، هو القائم بهذا العمل الخلاق دون سواه.

والواقع أن النصوص المدروسة في القسم الأول من هذا البحث، على ما بينها من اختلاف، تدلنا بوضوح، على أن الهوية النصية ليست معطى سابقا على الكتابة السير ذاتية بطبيعتها الحال، وإنما نتيجة لبحثها عن الكينونة الفردية كما تطورات، وفق محددات التطور المفكر فيها بعديا، في الزمان والمكان. ومن أهم ما يمكن استخلاصه من فصول القسم الأول على هذا الصعيد، أن هناك أربعة صيغ ممكنة لإنجاز ذلك: ذكر تاريخ الميلاد أو الأصل أو النسب (الوجود)، ذكر مراحل التعليم والشيوخ (نظام المعرفة)، ذكر الممارسة الاجتماعية المرتبطة إما بالتدريس أو بالوظيفة أو بغيرهما (العلاقات والمحيط)، والإعلان عن المقصدية (لماذا أكتب السيرة الذاتية، ولمن؟)، وغالبا ما تنبني هذه على (الرتبة/الإسم العلم).

تتبلور الهوية النصية في عملية الذهاب والإياب بين الحاضر والماضي (الكتابة والإستعادة)، خاضعة بذلك للشروط المحيطة بهما معا، من حيث إن الكتابة نظام لغوي يستخدم العلامات البيانية، علاوة على كونها أسوبا من أساليب التواصل، وأن الاستعادة طريقة لتملك الماضي وإحيائه ذهنيا وشعوريا. وبمعنى آخر فإن العلامات التي تضمن هذه العملية ترتبط باللفظ (أو التواصل) من حيث هو: ذات متكلمة (ضمير الأنا المتكلم) تتوجه إلى قارئ معين (المتكلم إليه) في وضعية معطاة (الحالة) بخطاب معين (الحكي الذاتي) عن طريق اللغة (العربية) في قالب معين (السيرة الذاتية).